فلاديمير ب. لوتسكي ، **تاريخ الاقطار العربية الحديث** ، (اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي) ، ترجمة د. عفيفة البستاني (موسكو ، دار التقدم ، ١٩٧١).

يعتبر كتاب المؤرخ المستشرق لوتسكي (١٩٠٦ — ١٩٦٢) من المؤلفات الهامة القليلة التي تتناول التأريخ الحديث للاقطار العربية (مصر ، فلسطين، سوريا ، العراق ، الجزيرة العربية ، السودان واقطار شمال افريقيا) على « نطاق تاريخي واسع » ، مستعرضا الحوادث الرئيسية في التاريخ العربي السياسي ، ولاشتماله على عرض لاستعمار الاقطار العربية ، حيث يعير « اهتمام كبير لتأريخ قضايا العرب الداخلية والاصلاحات ونشوء الشعور الوطني وكذلك حركة التحرر الوطنية » . وتأتي اهمية الكتاب من ناحيتين رئيسيتين ، فهو كما اوردت مقدمته ، « اول تجربة في الادب الروسي والسوفياتي تستعرض بصورة منتظمة تاريخ العرب في العصر الحديث » . وهو من ناحية ثانية ، يقدم مساهمة جدية تستدعيها ضرورات اعادة كتابة التاريخ العربي بأفق علمي ، وهو وان كان لا يسد هذه الحاجة ولا يكنيها ، الا انه يؤكد ضرورة طرحها كمهمة ، في المدى الراهن والمستقبل القريب ، على عاتق المثقفين الثوريين العرب .

من مقدمة الكتاب نعلم ان لوتسكي نهض بمهمة تدوين التاريخ العربي منذ الثلاثينات (١٩٣٦) . وقد قدمها في سلسلة محاضراته الجامعية التي ألقاها في معهد موسكو للدراسات الشرقية وفي جامعة موسكو وغيرهما من معاهد الدراسات العالية السوفييتية . وكان اول من قدم مثل هذه المادة « كفرع مستقل قائم بذاته » ونشر قسم من هذه المحاضرات كفصول متفرقة في كتاب « التاريخ الحديث للاقطار المستعمرة والتابعة » وقد اخذت مادة هذا المؤلف من سلسلة لمحاضرات ألقاها لوتسكي فيجامعة موسكو فيما بين ١٩٤٩ — ١٩٥٣، كما جمعت من مسوداته واوراقه الخاصة ومن مدونات الطلبة المخطوطة ، لذا جاءت مشوبة بالنقص ومتضمنة على فجوات عديدة بصدد بعض الاقطار العربية ، وقد سدت هذه الفجوات من مساهمات كتاب آخرين (لاندا ، سميلانسكايا ولازاريف) . وقام بتحريره ايفانوف ، كما اشرف على طباعته بصيغته النهائية . اي ان هذا الكتاب جاء حصيلة اسهام طويل من المؤرخ لوتسكي وجهود كتاب آخرين ، وتضمن سبعة وعشرين فصلا ، بالاضافة الى مقدمة ايفانوف ، وتثبيته بأسماء الاعلام والمواقع الجغرافية وثلاث خرائط تاريخية . ويربو عدد صفحاته على الخمسمائة صفحة .

ان كل ما يتصل بأوضاع فلسطين في الحقبة التاريخية التي يتصدى لها لوتسكي (القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين) موزع في انحاء الكتاب ، متسلسلة على فترات تاريخية وعلى صلة بما يقع في هذا القطر او ذاك من الاقطار العربية المجاورة . وقد عمد المؤلف الى تقديم لوحة اقتصادية واجتماعية وسياسية لمجمل التطورات التاريخية منذ بداية الفتح العثماني كانت بمثابة الخلفية التاريخية الشاملة للحقبة المعاصرة من تاريخنا . فيلاحظ انه منذ مستهل القرن السادس عشر وخلال مدة تتجاوز المئة عام بقليل (١٥١٤ — ١٦٣٨) خضعت جميع الاراضي العربية تقريبا للسيطرة العثمانية وشكلت جزءا شاسعا منها (باستثناء مراكش واواسط الجزيرة العربية وعمان) . وهو يرى ان الذي استهوى الفاتحين في الاقطار العربية هو « فرض الاستغلال الاقطاعي على الجماهير الشعبية العربية ، ثم موقع البلدان العربية الملائم على طرق التجارة العالمية ». ويشير وهو يستعرض الاوضاع الاجتماعية في الاقطار العربية ان العثمانيين ابقوا على الاوضاع الاجتماعية السابقة لدى الشعوب العربية منذ فتحهم للبلاد ، حيث بقيت الارض والسلطة كالسابق في أيدي الاقطاعيين المحليين . ويلقي لوتسكي بعض الضوء على اشكال ملكية الارض وطبيعتها . اما بالنسبة للتجارة ، فان الكاتب يلاحظ ان الحكم العثماني صادف فترة انتعاش في التجارة العالمية الناشئة عن تقدم الصناعة الاوروبية ، التي وجدت بدورها في الامبراطورية سوقا واسعة لها. ويلاحظ لوتسكي ضعف تطور التجارة الداخلية ، كما هو الحال بالنسبة للصناعة ايضا ، فقد كانت الصناعات ذات طابع حرفي مبنية على العمل اليدوي والتنظيم الطائفي. كما لم يكن هناك حد فاصل بين الاعمال الحرفية والزراعة . ويشير لوتسكي الى ان « التركيب الاجتماعي للمدن العربية يدل على ان نسبة كبيرة